مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الحضارة الإسلامية (بحث في المقومات والخصائص)

على ضوء الهدايات القرآنية

اسم الباحث/ـة

د/ أحمد الخاطب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث:

تعتبر المسألة الحضارية من أهم مباحث فلسفة التاريخ، حيث شكلت بؤرة الاهتمام والتأمل لفلاسفة التاريخ عبر العصور، واختلفت بشأنها الاتجاهات والمدارس الفلسفية والتاريخية من زوايا متعددة، انطلاقاً من مفهوم الحضارة وماهيتها، ومقومات البناء الحضاري، ودور الإنسان والطبيعة والدين في ذلك، وصولا إلى عوامل اضمحلال الحضارات وسقوطها... ولم تغب هذه الاهتمامات عن علماء الدين والمهتمين بالشأن الديني في حضارات مختلفة، حيث حاولوا بدورهم مقاربة تلك الإشكالات من زوايا النظر الديني بالاعتماد على المرجعيات الدينية التي يؤمنون بها أو ينطلقون منها. لذلك، شغلت المسألة الحضارية علماء الإسلام قديما وحديثا. ومن ذلك الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي حول الهدايات القرآنية والحضارة الإنسانية من قبل جامعة أم القرى بمكة المكرمة، مهد الحضارة الإسلامية، ومركز الحضارة الكونية.

ووعياً بأهمية القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للمعرفة الإسلامية التاريخية والحضارية، سنحاول في هذا البحث مقاربة موضوع "**الحضارة الإسلامية: بحث في المقومات والخصائص على ضوء الهدايات القرآنية**". فالمعرفة التاريخية والحضارية تشغل حيزاً مهماً من القرآن الكريم، وتغطي مختلف جوانب هذه المسألة، حيث يقدم القرآن الكريم نظرة إجمالية شافية حول أنواع واتجاهات الحضارات الإنسانية في التاريخ، وأسسها وخصائصها ومآلاتها... كما يقدم للمسلمين ما يكفي من الهدايات القرآنية حول ماهية الحضارة الإسلامية التي تجعل منها حضارة متميزة عن باقي الحضارات. وفي سبيل ذلك، سيحاول البحث الإجابة عن التساؤلات والإشكالات التالية: **كيف تحضر المسألة التاريخية والحضارية في القرآن الكريم؟** وما هي أسس ومقومات الحضارة الإسلامية وعناصرها الكبرى في القرآن الكريم؟

وما هي أهم خصائص الحضارة الإسلامية على ضوء الهدايات القرآنية؟ ويتوخى هذا البحث تحقيق جملة من الأهداف، التي تتطابق مع الأهداف العامة للمؤتمر.

ومن أهمها: التأكيد على مرجعية القرآن الكريم في مجال فلسفة التاريخ والحضارة؛ إدراك الرؤية القرآنية للمسألة التاريخية والحضارية؛ استقراء الهدايات القرآنية المرتبطة بالمسألة التاريخية والحضارية، واستثمارها في رصد وتحليل مقومات الحضارة الإسلامية وخصائصها؛ وإبراز أهم عناصر البناء الحضاري في الإسلام، وأهم خصائصه على ضوء الهدايات القرآنية.

وقد تبنى البحث منهجية استقرائية وتحليلية، بالتركيز أساساً على استقراء الآيات القرآنية الكريمة التي تمكننا من تسليط الأضواء على عناصر البحث من الوقائع التاريخية والحضارية المناسبة.

كما انفتح البحث نسبياً على بعض الدراسات المعاصرة المهمة في فلسفة التاريخ والحضارة والتي تتميز باعتمادها على القرآن الكريم من أجل تحليل المسألة الحضارية.

وجاء في مبحثين: أولهما، تناول المسألة التاريخية والحضارية في القرآن الكريم، والثاني، تناول الحضارة الإسلامية على ضوء الهدايات القرآنية.

المبحث الأول: المسألة التاريخية والحضارية
في القرآن الكريم: معالم في الرؤية والمنهج

١-١/ الإنسان ومسؤوليته في التاريخ على ضوء الهدايات القرآنية:

يمثل ظهور الإسلام منعطفاً حاسماً في التاريخ الديني للبشرية، باعتباره خاتم الأديان والرسالات السماوية؛ كما يمثل أيضا أعظم منعطف في تاريخ الفكر الإنساني، إذ تولدت عنه تغييرات جوهرية في الرؤية الفكرية للكون والإنسان والزمان والمصير، مما أدى إلى تكوين نظرة جديدة للتاريخ. وشكل القرآن الكريم مرجعية دينية مقدسة لتأسيس علم جديد في الحضارة العربية الإسلامية، هو علم التاريخ.

فما طبيعة الرؤية الإسلامية للتاريخ على ضوء الهدايات القرآنية؟

تكتسي المسألة التاريخية في القرآن الكريم والإسلام بصفة عامة، أهمية كبرى، اعتباراً لتاريخية الإسلام من جهة، واعتبارا للمساحة التي تشغلها هذه المسألة في القرآن الكريم من جهة أخرى. فعلى الرغم من أن الإسلام هو الرسالة التي ختم الله بها الرسالات السماوية، فقد جعل منه الحق سبحانه وتعالى دينا تاريخي الروح، يضرب بجذوره في التاريخ، ويحمل في طياته فكرة تاريخية عميقة.

فهو دين كل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. ذلك أن مبدأ التوحيد الذي ترتكز عليه رسالة الإسلام هو مبدأ ديني تاريخي مشترك بين كل الرسل والأنبياء(١). قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال عز وجل: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨٤]

---

(١) تاريخ العرب والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ورجاله في الإسلام، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨، ج١، ص٥٧.

وتعتبر فكرة التاريخ في القرآن الكريم تجسيداً للتصور القرآني لرسالة الإنسان في الحياة الدنيا، والتي تتأسس على مبدأ الغاية التي تغياها الله سبحانه من خلق الكائنات والكون، حيث اقتضت الإرادة الإلهية أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، وعليه تقع مسؤولية إعمارها وبناء المجتمعات والحضارات وفق سنن الله في خلقه. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٢]. اقتضى التكليف الإلهي للإنسان برسالة الاستخلاف تفضيله على سائر المخلوقات ومنهم الملائكة.قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البَقَرَة : ٣١ - ٣٣] .

بهذا التكليف، جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان فاعلاً تاريخياً، يتحمل مسؤولية الفعل التاريخي؛ كما جعل من الفعل التاريخي فعلا إنسانيا. ويشكل هذا الارتباط بين الإنسان والتاريخ أولى خصائص الخطاب التاريخي في القرآن الكريم.

ولتمكين الإنسان من الاضطلاع بهذه المسؤولية التاريخية والحضارية العظيمة التي أناطها الله به، مكّنه الحق سبحانه تعالى من جميع الوسائل والإمكانات المادية والمعنوية التي تجعل منه كائنا جديرا بتحمل المسؤولية التاريخية في الأرض، فخصه بالتكريم الإلهي عن سائر المخلوقات في الكون، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإِسْرَاء: ٧٠].

وامتن الحق سبحانه وتعالى بخلق الإنسان وتسويته وتفضيله على غيره من المخلوقات بمن فيهم الملائكة. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا

مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: ٧١ - ٧٤].

ومن أكبر النعم المؤهلة للإنسان لتحمل رسالته التاريخية، نعمة العقل. فالعقل هو الأداة الكبرى للاضطلاع بالمسؤولية عن الفعل التاريخي الذي ينبني على المعرفة والتفكير، والإرادة، والاختيار. لذلك كان الإنسان مسؤولا تاريخيا عن أفعاله في التاريخ. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإِسْرَاء: ٣٦].

وتعدّدت الآيات القرآنية التي تحض على التفكر والنظر والتدبر واستعمال العقل في بناء الإنسان والحضارة معا. لكن ليس العقل وحده الكفيل بتأهيل الإنسان لتحمل مسؤولية الاستخلاف وعمارة الأرض، بل لابد من التوظيف السليم لكل الجوارح في طاعة الله. فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] وقال كذلك: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإِسْرَاء: ٣٦]. وجعل القرآن الكريم نعمة الأخلاق من أعظم النعم التي امتن الله تعالى بها على الإنسان أيضاً، فجعله كائنا متعقلاً ومتخلقاً.

وجعل أمامه القدوة الحسنة، ممثلة في نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام. فقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤]. ويعلمنا القرآن الكريم أن الله تعالى زود الإنسان ببصيرة أخلاقية. قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القِيَامَة: ١٤ - ١٥]. ويعلمنا كذلك أن النفس الإنسانية قد تلقت في تكوينها الأولي الإحساس بالخير والشر. قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشَّمْس: ٧ - ٨]. حقاً إن النفس لأمارة بالسوء، لكن الإنسان قادر على أن يحكم أهواءه بطاعة الله تعالى والخوف منه. قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّازِعَات: ٤٠ - ٤١].

ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان أيضاً، تسخير ما في الكون من مخلوقات له، فهيأ له مسرح التاريخ ومكّنه من المواد الخام لصناعة الحضارة والعمران. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لُقْمَان: ٢٠]

والقرآن الكريم، وهو يستعرض هذه النعم التي سخرها الحق سبحانه وتعالى للإنسان في العديد من الآيات الكريمة؛ فقد وجهه التوجيه الأخلاقي الذي يرتضيه سبحانه وتعالى لعباده الصالحين لتأهيلهم لتحمل مسؤولية الاستخلاف وعمارة الأرض وبناء الحضارة والعمران على ضوء الهدايات القرآنية. ولذلك؛ حرّم الظلم والعدوان والبغي وحرم قتل النفس بغير حق؛ ودعا في المقابل إلى العدل والإحسان، والتعاون على البر والتقوى، والتعارف بين الشعوب والقبائل والأمم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النَّحْل: ٩٠] وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحُجُرَات: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المَائـِدَة: ٢].

وتتوالى الشواهد القرآنية المؤهلة والموجهة للإنسان في الفعل التاريخي، مشكلة منظومة متكاملة من القيم والمبادئ والتوجيهات التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى وبنفسه وبأخيه الإنسان –فردا وجماعة– وبالبيئة، حتى يكون مؤهلاً لتحمل رسالة الاستخلاف والتمكين في الأرض، أي التمكين في التاريخ. ثم يفتح القرآن الكريم أمام الإنسان صفحات التاريخ، داعياً إياه إلى التأمل والاعتبار لإقامة العمران والحضارة على أسس سليمة.

فالمتأمل في القرآن الكريم، لا بد وأن تستوقفه المساحة الهائلة للقصص والوقائع والعروض والمشاهد التاريخية، والتي تهدف إلى إثارة الفكر التاريخي لدى الإنسان، ودفعه إلى التساؤل الدائم والبحث عن الحق، وترشيد المسار في سبيل بناء الحضارة والعمران. وفي سبيل ذلك، أكد القرآن على حقيقة

القصص القرآني، محدثاً بذلك قطيعة إبستيمولوجية بين التصور الأسطوري حول التاريخ، والتصور اليقيني القرآني للتاريخ، معبرا عن أصدق القصص لتمام مطابقتها للواقع التاريخي. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٧]. وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ٦٢]. كما اعتبر الحق سبحانه وتعالى هذه القصص أيضا أحسن القصص لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى. قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يُوسُف: ٣].

وهي كذلك أنفع القصص لذوي الألباب. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يُوسُف: ١١١]

وهكذا، جاء الحض القرآني على التفكر والاعتبار بالقصص التاريخي، في آيات وسور كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأَعْرَاف: ١٧٦]. وجاءت القصص التاريخية في القرآن الكريم على أقسام مختلفة، نسوق **منها بعض النماذج**[١]:

أ- **قصص الأنبياء والرُّسل**. ومن ذلك: - قصة آدم عليه السلام (البقرة: ٣٩-٣٠)؛ - قصة الملإ من بني إسرائيل مع نبيهم بعد موسى عليهما السلام. (البقرة: ٢٤٦)؛ - قصة إبراهيم عليه السلام مع طاغية عصره.) البقرة: ٢٥٨). - حكاية الحواريين مع عيسى عليه السلام. (سورة المائدة:١١٢)؛ - قصص موسى عليه السلام وحكاياته مع فرعون وآله ومع السحرة والإسرائيليين. (سورة البقرة؛ سورة الأعراف)؛ - قصة نوح عليه السلام مع قومه؛ وقصة هود مع قومه عاد؛ وقصة إبراهيم ولوط عليهما السلام. (سورة هود:٢١٩-٢٦٦)؛ -قصة يوسف عليه السلام. (سورة يوسف: ٢٦٧-

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص٧٥-٨٠.

٣٣١)؛ - قصة عيسى عليه السلام (سورة مريم: ٤٦٩-٥٠٤)؛ - قصة موسى عليه السلام في مختلف مراحه (سورة طه: ٧-٣٧)؛ - قصة نوح عليه السلام مع قومه (سورة نوح :٤٣٧-٤٥٢).

ب- **قصص أشخاص وطوائف**. نذكر نماذج منها: -أهل الكهف (الكهف: ٩-٢٦)؛ - أصحاب الجنتين (الكهف: ٣٢-٤٤)؛ - موسى والخضر (الكهف: ٦٠-٦٢)؛ - ذو القرنين (الكهف: ٨٣-٩٨)؛ - مريم (مريم: ١-٣٣)؛ - قارون (القصص: ٧٦-٨٣)؛ -عاد وآخرون (النجم: ٥٠-٥٤)؛ -عاد (القمر: ١٨-٢١)؛ - ثمود (القمر: ٢٣-٣١)؛ - ثمود وعاد والمؤتفكات (الحاقة: ١-١٠)؛ -أصحاب الجنة (القلم: ١٧-٣٣)؛ - فرعون (المزمل: ١٥-١٦)؛ - موسى وفرعون (النازعات: ١٥-٢٦)؛ - أصحاب الأخدود (البروج: ٤-١٠)؛- عاد وثمود وفرعون (الفجر: ٦-١٤)؛- ثمود (الشمس: ١١-١٥)؛-أصحاب الفيل (الفيل: ١-٥)

ج- **وقائع السيرة النبوية**: يقدم القرآن الكريم مقاطع وعروضاً تاريخية من السيرة النبوية الشريفة، انطلاقاً من أول حدث يكتسي صبغته التاريخية وهو حدث بدء نزول الوحي الذي خلده القرآن الكريم في سورة العلق (الآيات: ١-٥)؛ والهجرة النبوية (التوبة: ٤٠) ومراحل الدعوة المكية والمدنية، والغزوات النبوية التي انتصر فيها المسلمون مثل بدر الكبرى (آل عمران: ١٢٣-١٢٦) أو تلك التي انهزموا فيها كغزوة أحد (آل عمران: ١٢١-١٢٢؛ ١٣٩-١٧٥)، وغزوات أخرى؛ إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

وقد تناول عدد من المؤرخين والعلماء السيرة النبوية الشريفة من خلال القرآن الكريم[1]. وهي مدرسة تاريخية للاعتبار.

(١) سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم ودراسات وتحليلات قرآنية، محمد عزة دروزة، ٢ج، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨؛السيرة النبوية في القرآن الكريم دراسة وتصنيف، عبد الصبور مرزوق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى، ١٤٠١ هـ رمضان، العدد ٦.

٢-١/ الزمان التاريخي في القرآن الكريم ومسؤولية الإنسان:

يحتل الزمان مكانة عظيمة في القرآن الكريم. فقد ارتبطت فكرة الزمان في القرآن الكريم بالعقيدة والشريعة والتاريخ. ولعظم أهمية الزمان في الإسلام، أقسم الحق سبحانه وتعالى بالزمان وأجزائه في أكثر من سياق في القرآن الكريم، وسميت عدد من السور القرآنية بأسماء وحدات زمنية(١).

يتميز الخطاب التاريخي في القرآن الكريم باتساعه وشموله للأبعاد الزمانية الثلاثة للمسألة التاريخية: الماضي، والحاضر، والمستقبل. بل يتسع مداه إلى ما وراء العصور التاريخية المعروفة، ليمتد إلى ما وراء التجارب البشرية الأولى على الأرض، إلى بدء الخلق، وإلى ما بعدها، دون تفاصيل زمنية متصلة بالأحداث على غرار التاريخ البشري.

يطلعنا القرآن الكريم على "الحدث" المباشر الذي يشكل منطلق التاريخ البشري على الأرض، في سورة البقرة، والمتمثل في نزول آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض، في الزمن الذي يعلمه الله تعالى وحده (البقرة: ٣٠-٣٩).

واستخدم القرآن الكريم في التعبير عن الزمن مقياسين:

يتعلق الأول: بالعالم العلوي الأخروي، مثل قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المَعَارِج: ١ - ٧].

أما الثاني: فهو الزمن الدنيوي التاريخي الذي يتصل بالتاريخ البشري. قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التَّوْبَة: ٣٦]. ويتجاوز الخطاب التاريخي في القرآن الكريم الاقتصار على الزمن الماضي الذي تندرج في إطاره القصص والوقائع التاريخية للأقوام والأمم والأنبياء والرسل؛ إلى الحديث

(١) ينظر في هذا الموضوع: آيات الزمن في القرآن الكريم دراسة تحليلية وموضوعية، عبد الغفور محمد طه القيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.

عن الزمن الحاضر أو التاريخ المعاصر في العهد النبوي المتعلق بوقائع السيرة النبوية التي خلدها القِرآن الكريم؛ ليمتد إلى الزمن المستقبلي.

ففي التعامل مع الماضي، يرسم القرآن الكريم ملامح منهج تاريخي خاص، لا يهتم بتقديم تفاصيل الوقائع بقدر ما يهتم بجوهرها وروحها ومغزاها، داعياً إلى التدبر والتفكر والاعتبار والنقد وعدم الانسياق مع بعض مخلفات الماضي المخالفة لمنطق الدين، وفي ذلك نماذج كثيرة. مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾ [الأَعْرَاف: ٢٨]. وقوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤﴾ [الزُّخْرُف: ٢٣ - ٢٤].

وهكذا، يحبط القرآن الكريم التوظيف السلبي للماضي في صناعة التاريخ. فليس التشبث بالماضي الباطل حجة للانتصار للباطل في الحاضر والمستقبل. بل إن المنهج الأمثل هو الاعتبار والاتعاظ بالماضي، وتتبع سنن الله في الأنفس والمجتمعات، وتدبر أحوال الأمم، وإدراك أدوارها المتعاقبة والانتفاع بذلك كله في الحاضر والمستقبل(١).

وفي التعامل مع الحاضر، يدعو القِرآن الكريم إلى العمل، واستغلال الحاضر، وينبذ التحسر على الماضي، وينهى عن الأمل الفارغ الذي لا تكون عاقبته إلا وخيمة. قال تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [الحِجْر: ١ - ٣]. ومن الآيات الداعية إلى التعامل الجدي مع الحاضر، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرَّعْد: ١١]. ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ

---

(١) مفهوم الزمن في القرآن الكريم، محمد بن موسى بابا عمي، دار وحي القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨، ص. ١٩١-١٩٢.

فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ [التَّوْبَة: ١٠٥]. هكذا، يوصي القرآن الكريم بالتعامل مع الحاضر بالجدية اللازمة باعتباره الوعاء الزمني للعمل، وبالتالي لصناعة التاريخ؛ وليس الماضي المنتهي، وليس المستقبل الذي لم يأت بعد.

أما في التعامل مع المستقبل، فيدعو القرآن الكريم إلى التفاؤل بنصر الله، كما يدعو إلى الاعتبار بالماضي من أجل بناء حاضر ومستقبل أفضل للإنسان في الدنيا والآخرة. وفي ذلك شواهد قرآنية كثيرة:

- **بشرى انتصار الروم بعد هزيمتهم أمام الفرس:** ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الرُّوم: ١ - ٥]. وهو الحدث الذي تحققت نبوءته بعد ثلاث سنوات من نزوله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، مما أحدث هزة فرح مزدوج في نفوس المؤمنين، فرح بانتصار الكتاب على الوثنية، وفرح باليقين العميق الذي ألقاه في نفوسهم هذا التنفيذ الصادق لوعد الله(١).

- **بشرى فتح مكة بعد صلح الحديبية:** ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفَتْح: ٢٧]

- **الاعتبار بنصر المسلمين في غزوة بدر:** ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٢ - ١٣]

- **اليقين بوعد الله للمؤمنين بالنصر والتمكين:** ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦ ص٧٩.

لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النُّور: ٥٥].

٣-١/ السنن التاريخية والحضارية في القرآن الكريم ومسؤولية الإنسان

يمتاز الخطاب القرآني في المسألة التاريخية بالتنوع والشمول، فبعد استعراض وقائع وأحداث وقصص تتعلق بالأفراد والجماعات، في أزمنة وسياقات تاريخية مختلفة؛ جاء الدور على تقديم القوانين والمبادئ التي تحكم حركة التاريخ البشري، وهي السنن التاريخية في القرآن الكريم. يندرج الحديث عن السنن التاريخية في إطار فلسفة التاريخ، بوصفها علما مستقلا يسعى إلى البحث عن الأسباب والعلل التي تقف وراء أحداث التاريخ، واكتشاف الحكمة أو المعنى الذي تتحرك هذه الأحداث من أجل تحقيقه، وبالتالي استخلاص المبادئ والقوانين التي توجه مسيرة التاريخ البشري. اختلفت بشأنها اتجاهات ومدارس فلسفة التاريخ باختلاف زوايا النظر والمرجعيات المؤطرة لرؤى فلاسفة التاريخ(١). كما اختلف الباحثون بشأن مؤسس هذا العلم، ويعتبر المؤرخ المسلم ابن خلدون(ت٨٠٨هـ) مؤسس هذا العلم من خلال اكتشافه لعلم جديد لم يسبق إليه، سماه "علم العمران" في كتابه المقدمة(٢).

أكد القرآن الكريم على مبدأ "السنة" في التاريخ البشري، في كثير من الآيات ذات المغزى التاريخي، وهي طريق عامة يجري بها أمر الله على عباده، وهي طريق العدل والرحمة. وتتسم بصفات الثبات والاطراد والعموم. كما تتسم بالشمولية لجميع مناحي الحياة الإنسانية والكونية(٣). وضرب لذلك أمثلة

(١) المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، هاشم يحيى الملاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ص. ١٧٧-١٨٦.

(٢) المفصل في فلسفة التاريخ، الملاح، ص. ١٨٤-١٨٥.

(٣) المفصل في فلسفة التاريخ، الملاح، ص١٠٩.

كثيرة؛ داعياً الإنسان إلى الوعي بهذه السنن والأخذ بها في التخطيط للمسار التاريخي والحضاري، في سبيل الاضطلاع بوظيفته الاستخلافية وإقامة العمران **البشري على ضوء الهدايات القرآنية**. قال تعالى:

- ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٨]

-﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فَاطِر: ٤٣].

- ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإِسْرَاء: ٧٧]

- ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفَتْح: ٢٣]

فالقرآن الكريم يجعل من هذه السنن التاريخية دافعا ومحركا لحركة التاريخ نحو الأفضل، فهي في خدمة المعاصرة والمستقبل. ولتحقيق ذلك، دعا كل جماعة معاصرة أن تسير في الأرض، لكي تنظر، وأن تتعلم من هذا السير عبر النظر في السنن التي حاقت بالذين خلوا من قبل، من أجل بناء عالم لا تدمره تجارب الخطأ والصواب التي دمرت أمما وجماعات وشعوباً (١). ومن الهدايات القرآنية الدالة على ذلك، قوله تعالى:

-﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣٧]

-﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [مُحَمَّد: ١٠]

-﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الرُّوم: ٤٢]

-﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [يُوسُف : ١٠٩]

- ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النَّحل: ٣٦]. يؤكد القرآن الكريم في دعوته الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم في الكون، على إمعان النظر في التاريخ وحركة الإنسان في الكون، وتأمل عواقب المصير

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص٨٤.

المؤسف الذي انتهت جماعات وأمم وأفراد في التاريخ، حادوا جميعا عن سواء السبيل وخالفوا القوانين الأخلاقية التي تكشف سنة الله أن الالتزام بها يؤدي إلى الرقي والصعود، بينما يؤدي تجاهلها إلى التدهور والذبول(١).

ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النَّمْل: ٥٢]

-﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النُّور: ٣٤]

-﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [العَنكَبُوت: ٣٤ - ٣٥]

-﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحَج: ٤٥ - ٤٦]

من نماذج السنن التاريخية التي يؤكد عليها الخطاب القرآني أن الفسق والظلم والفجور من أخطر أسباب هلاك الأمم ودمارها.

فقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى أن الهلاك والدمار التاريخي الذي لحق بجماعات بشرية سابقة وفي حقب زمانية مختلفة، إنما كان نتاجاً لظلم البشر في هذه الجماعات وفسقهم وفجورهم وإجرامهم. ومن الشواهد القرآنية على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يُونُس: ١٣]. وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأَنْعَام: ٦].

(١) فكرة التاريخ عند المسلمين، قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، امصر، ط١، ٢٠٠١، ص٨٤.

وقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج: ٤٥].

في مقابل السنن المؤدية إلى هلاك الأمم وخراب الحضارات؛ يقدم القرآن الكريم نماذج من السنن البانية للحضارة وتقدم المجتمع الإنساني، ومن ذلك التأكيد على أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح مصدر للرقي والازدهار،

ومصدر للاستخلاف والتمكين في الأرض. قال تعالى:

- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦]

-﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥]

-﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧]

من ناحية أخرى، يخبر الحق سبحانه وتعالى بسنة التغيير في التاريخ، فيربطها بالتغيير الذاتي الداخلي للإنسان، ومن ثم يتحكم العالم الباطني للإنسان في عالمه الخارجي، وتخضع الظاهرة الاجتماعية جدليا لطبيعة الظاهرة النفسية، سلباً وإيجاباً. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]. وقال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وهكذا، مكّن القرآن الكريم الإنسان من الاطلاع على حصيلة التجربة التاريخية للبشرية ومغزاها، ومآلاتها السلبية والإيجابية في أبعادها الزمنية المختلفة، مبينا له أسباب تلك المآلات وسياقاتها؛ معززاً ذلك بنماذج كثيرة من القصص التاريخية التي تتصف باليقينية المطلقة باعتبارها وحياً إلهياً؛ في سبيل إبعاد البشرية عن المصير التعس للأمم السالفة التي حادت عن القوانين والسنن الأخلاقية والروحية في التاريخ، واقتصرت فلسفتها في الحياة على الوجود

الموقوت، ففقدت بذلك المبدأ الأخلاقي والهدف الروحي الذي هو سر كل فعل تاريخي ناجح؛ وبناء الإنسان الصالح المتشبع بالوعي التاريخي القرآني الذي يؤهله لبناء الحضارة الإنسانية على ضوء الهدايات القرآنية، لتكون معبرة عن روح القرآن وجوهره: إنها الحضارة الإسلامية. فما هي أبرز مقومات هذا الحضارة. وما هي أبرز عناصرها وخصائصها؟

المبحث الثاني: الحضارة الإسلامية على ضوء الهدايات القرآنية: رصد لأهم المقومات والمظاهر والخصائص:

٢-١/ مفهوم الحضارة وماهيتها:

يعتبر مفهوم الحضارة من المفاهيم المركزية في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة، وفي الدراسات التاريخية بصفة خاصة. ويطرح هذا المفهوم الكثير من الالتباس بحكم تداخله مع مفاهيم أخرى متقاربة الدلالة مثل مفهوم الثقافة والمدنية؛ وبحكم ارتباطه بالوضعية الحضارية للشعوب والأمم؛ واختلاف مناهج المدارس الفكرية التي تناولته بالبحث، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية[١]. ومن الناحية اللغوية، بالرجوع إلى المعاجم العربية، نقف على استخدامات متعددة للفظة الحضارة، ومن أهمها: الحضور وهو نقيض المغيب والغيبة، والحضارة بمعنى الشهادة؛ ومنها: الحضر وهو خلاف البدو، والحضارة: الإقامة في الحضر؛ ومنها: الحاضرة: الحي العظيم؛ ومنها أيضا الحاضر: ضد المسافر[٢]. وفي سياق الدراسات التاريخية، نتوقف عند ابن خلدون باعتباره أبرز من تناول هذا المفهوم بالتعريف والاستعمال. اعتبر ابن خلدون الحضارة ظاهرة اجتماعية تاريخية مرتبطة بسكنى الحضر ونمط العيش الحضري، وما يتميز به من تجاوز للضروري في العيش وانغماس في الترف، عكس البداوة ونمط العيش البدوي. فقال: "ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة وتعاونوا

---

(١) الحضارة – الثقافة– المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم"، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ١٩٩٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: حضر، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج٤، ص١٩٧؛ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥، ص٣٧٦؛ أساس البلاغة، الزمخشري: مادة ح ض ر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ ، ج١، ص.١٩٥.

في الزائد من الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر...وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم"(١).

فالحضارة إذن مرتبطة بالرفه في العيش وهي " أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر"(٢). والحضارة عند ابن خلدون هي مرحلة أعلى في مسار تطور الدولة، حيث يقول: "فطور الدولة من أولها بداوة ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه ...فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك(٣).

في نفس الاتجاه، يذهب ابن خلدون إلى اعتبار الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده، معتبرا "أن الحضارة في العمران لا مزيد وراءها"، وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها. مؤكداً مرة أخرى أن "الحضارة هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع"، وأنها مرتبطة بمستوى العمران. إذ "الحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل". و"غاية العمران هي الحضارة والترف"، و"الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران

---

(١) المقدمة، ابن خلدون تحقيق إبراهيم شبوح وإحسان عباس، تونس، ٢٠٠٦، ج٢، ص٥١.

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ج٢، ص٥١.

(٣) المقدمة، ابن خلدون، ج١، ص٣٠٠.

والدولة"(١). فالحضارة إذن على ضوء التصور الخلدوني هي منتهى التطور للدولة والعمران، وهي بهذا المعنى تحمل في طياتها حتمية السقوط والانهيار لهما معا، خاصة وأنها مرتبطة بتحول جذري ليس فقط في نمط العيش، بل في منظومة القيم والأخلاق المترتبة عنه. ويختلف بعض الدراسين مع ابن خلدون حول هذا الحكم السلبي على الحضارة.

فقد اعتبر حسين مؤنس أن ابن خلدون "يخطئ هنا خطأ أساسياً، فإن التحضر والتدرج في مراتب الحضارة لا يضعف الإنسان أو الجماعة، بل يقويه ويقويها، فإن الحضارة علم، ومعارف، وخبرة، وتجربة. وكل هذه تزيد ملكات الإنسان إرهافا، وتفجر في كيانه ينابيع جديدة من القوة"(٢). والواقع، أن الاختلاف بين الرجلين، إنما هو ناتج عن اختلاف في المفهوم فقط. فقد اعتبر حسين مؤنس أن "الحضارة علم ومعارف وخبرة وتجربة"، وهو جزء من التعريف الحديث لمفهوم الحضارة، والذي يختلف عن مفهوم الحضارة عند ابن خلدون ووظفه في تحليله لمراحل تطور العمران البشري والدولة معاً.

وإذا استحضرنا التعريفات الحديثة للحضارة، بغض النظر عن اختلاف مدارسها واتجاهاتها، نجد أنها تتخذ معنيين، يرتبط المعنى الأول الموضوعي بالتقدم التاريخي للإنسانية. وعلى هذا الأساس اعتبر عدد من الفلاسفة والمؤرخين الحضارة هي جملة مظاهر التقدم الأدبي، والفني، والعلمي، والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة. نقول: حضارة صينية، وحضارة عربية، وحضارة غربية...، ولكل حضارة

---

(١) المقدمة، ابن خلدون، ج٢، ص٥٦.

(٢) الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١، ١٩٧٨، ص١٣٦.

نطاقها الجغرافي، وطبقاتها المتراكمة عبر التاريخ، ولغاتها التي تعبر بها عن أفكارها السياسية والدينية، والتاريخية، والعلمية، والفلسفية. ويرتبط المعنى الثاني المجرد بمرحلة سامية من التطور الحضاري للإنسان في مقابل مرحلة الهمجية والتوحش(١).

ومن هذه الزاوية، اعتبر الفيلسوف ألبرت أشفيتسر الحضارة أنها تمثل المرحلة الراقية في التطور الإنساني(٢).

كما اعتبرها آخرون حصيلة ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم، ومعارف وفنون وما إلى ذلك، والرقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية التي تواتيها بها أحوالها وإمكاناتها المختلفة(٣)؛ أو ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية(٤).

في حين ذهب اتجاه واسع من علماء الاجتماع والأنثربولوجيا إلى اعتبار الحضارة هي جماع حياة مجتمع من المجتمعات بدائيا كان أو راقيا، حيث تضم المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والقوانين، والنظم والمؤسسات

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٤٧٥-٤٧٧

(٢) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦٣، ص٤-٥.

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢، ص٧.

(٤) الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص١٥.

والمكاسب، والإنجازات، والقيم، والمعاني، والعادات، وجميع القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع(١).

وإجمالاً: يمكن القول: إن الحضارة هي مجموع الإنجازات المادية والمعنوية للبشرية أو لجماعة بشرية، والتي تعبر عن مستوى من التقدم والرقي في التاريخ. ومن ثم، لم تخل مرحلة تاريخية من حضارة أو حضارات متعددة مرتبطة بجماعات أو أمم مختلفة، أو بالبشرية ككل، والتي تعكس درجة ما بلغته تلك الجماعات من الرقي والتطور الحضاري. وعلى الرغم من اختلاف الحضارات فيما بينها واختلاف مقاييس التصنيف والتقييم الحضاري، تظل بعض المحددات حاسمة في هذا الموضوع، ومن أهمها في نظر عدد من الدارسين: ماهية الحضارة.

وفي هذا الإطار، يذهب ألبرت أشفيتسر إلى أن جوهر الحضارة أخلاقي. فيقول: "إن الأعمال المبتكرة والفنية والعقلية والمادية لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقية إلا إذا استندت الحضارة في بقائها ونمائها إلى استعداد نفسي يكون أخلاقياً حقاً. ذلك أن الإنسان لن تكون له قيمة حقيقية بوصفه شخصية إنسانية إلا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق وخلال حسنة. وتحت تأثير المعتقدات الأخلاقية وحدها تكونت مختلف العلاقات في المجتمع البشري على نحو يسمح للأفراد والشعوب أن تنمو وتتطور بطريقة مثالية. وإذا أعوز الأساس الأخلاقي تداعت الحضارة، حتى لو كانت العوامل العقلية والخلاقة، أيا كانت قوة طبيعتها، تعمل عملها في اتجاهات أخرى"(٢). على ضوء هذه الرؤية، يعتبر أن مشكلة الحضارة هي مشكلة

---

(١) في معركة الحضارة دراسة في ماهية الحضارة وفي الواقع الحضاري، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١، ص٤٠.

(٢) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ص٤

أخلاقية، ضداً على الذين اعتادوا التعلق بالاعتبارات التاريخية والمادية والجمالية(١).

فالحضارة بكل بساطة معناها بذل المجهود بوصفنا كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الإنسانية وأحوال العالم الواقعي. وهذا الموقف العقلي يتضمن استعداداً مزدوجاً: فيجب أولاً: أن نكون متأهبين للعمل إيجابياً في العالم والحياة؛ ويجب ثانياً: أن نكون أخلاقيين؛ ولن نستطيع القيام بمثل هذا العمل إلا إذا كنا قادرين على أن نهب الحياة والعالم معنى حقيقيا"(٢).

ثم يقول أخيراً:" إن مستقبل الحضارة ليتوقف على تغلبنا على فقدان المعنى واليأس اللذين يميزان أفكار الناس ومعتقداتهم في هذه الأيام، وعلى بلوغ حالة من الأمل النضير والعزم الفتي، ولن يكون في وسعنا ذلك إلا إذا اكتشف غالبية الناس لأنفسهم موقفا أخلاقيا عميقا راسخا يؤكد الدنيا والحياة؛ عن طريق نظرية في الكون مقنعة وقائمة على الفكر والعاطفة معاً، وبغير مثل هذه التجربة الروحية لا سبيل إلى المباعدة بين عالمنا وبين الانهيار الذي يغذ في السير إليه"(٣). هذا المنظور الأخلاقي للحضارة، يدفعنا للحديث عن الحضارة الإسلامية من خلال الهدايات القرآنية. فما هي أسس هذه الحضارة ومقوماتها من خلال القرآن الكريم؟

٢-٢/ مقومات بناء الحضارة في القرآن الكريم:

اقتضت حكمة الله تعالى أن تختم الرسالات السماوية برسالة الإسلام، وأن يكون رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين،

(١) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ص٣.

(٢) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ص.٥.

(٣) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ص٧.

وأن يكون القرآن الكريم آخر كتاب منزل من السماء إلى الأرض.
قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٨] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سَبَإ: ٢٨]. ولما كان القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية، فقد ميزه الحق سبحانه وتعالى بجملة من الخصائص والمميزات، منها خاصية الشمولية، المعبرة عن كمال الدين وإتمام النعمة. مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المَائـِدَة: ٣]. والمعبرة أيضاً عن وفاء الشريعة وكمالها، وشمولها لحاجات البشر كلهم، في كل مكان، وفي كل زمان إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأَنْعَام: ١١٤]. فهو النظام الشامل الكامل لكل شؤون الحياة.
وبعبارة تنسجم مع طبيعة البحث: أن القرآن الكريم كتاب شامل لكل شؤون الحضارة الإنسانية، وهو الأساس الأول الراسخ للحضارة الإسلامية، ولا يزال وسيظل إلى يوم القيامة(١). فما هي أبرز تجليات الخطاب الحضاري في القرآن الكريم؟ وما أبرز أسس ومظاهر الحضارة الإسلامية في القرآن الكريم؟
تسجل المسألة الحضارية في القرآن الكريم حضورها على كل المستويات، مقدمة منظومة حضارية متكاملة وشاملة لكل جوانب الحضارة الإنسانية المادية والمعنوية. ينطلق الخطاب التاريخي والحضاري في القرآن الكريم من قاعدة الإيمان بالله تعالى، وما يقتضيه من إيمان بالأنبياء والرسل والرسالات السماوية لهداية الإنسان نحو الحق والإيمان، وعبادة الله تعالى وتوحيده والإقرار بربوبيته وانفراده سبحانه وتعالى بالأمر والحكم. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١١٧]. فتوحيد الله عز وجل هو أساس الإيمان الصحيح كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [مُحَمَّد: ١٩]. وكذلك

---

(١) في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١١، ص١٦

شهد الله بنفسه على هذا التوحيد، وشهد له ملائكته وأنبياؤه ورسله، مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عِمْرَان: ١٨].

والتوحيد الخالص هو أساس الإيمان، ومنطلق التكليف الرباني للإنسان. ومع الإقرار بوحدانية الله تعالى ومشيئته في الكون، يؤكد القرآن الكريم على مسؤولية الإنسان في الفعل التاريخي والحضاري. فجعل المقصد الأسمى من خلق الإنسان هو عبادة الله تعالى. قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]. وليس مفهوم العبادة هنا مساحة ضيقة لا تتجاوز دائرة الشعائرية والاتصال الروحي بالله، بل إنه تجربة حياة كاملة وبرنامج شامل ينظم فعاليات الجماعة البشرية على مسرح التاريخ، ويمنحها معنى، ويسير بها إلى غاية محددة. بل إنه يمنح الفعل الحضاري المنطلق من هذا المبدأ طابعه الخاص، فتصبح حضارة الإسلام ليست كغيرها من الحضارات التي تسعى إلى تحقيق الأهداف والغايات المادية الدنيوية فحسب، بل تصبح بهذا المعنى حضارة إيمانية ربانية. وبذلك تسقط كل السلبيات التي يمكن أن تعلق بأي نشاط حضاري لا يعتمد برنامجا شاملا، ولا يسعى إلى هدف واضح، ولا يلتزم أخلاقية الإنسان في حواره مع خالقه عز وجل(١). ولعل من أخطر ما يواجهه الفعل الحضاري الإنساني خطر (العبث) و(اللاجدوى) الذي سيطر على أذهان الكثير من الناس في مراحل تاريخية مختلفة. ولم يسلم منها الإنسان المعاصر، بفعل شيوع ظاهرة الإلحاد والكفر بنعم الله تعالى والافتقاد إلى المعنى في الحياة تحت تأثير النزعات المادية في الفكر والحضارة بصفة عامة.قال تعالى:

- ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المُؤْمِنُون: ١١٥].
-﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القِيَامَة: ٣٦]
- ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن

---

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص١٣٧.

لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٦ - ١٨]. ومرد هذا الأمر إلى مبدأ الاستخلاف في الأرض الذي أناطه الحق سبحانه وتعالى بالإنسان وحده، ومبدأ التكريم الذي خصه به جل جلاله دون سائر المخلوقات في السماء والأرض.

مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]

وتتكرر الآيات القرآنية الكريمة للتأكيد على مبدأ الاستخلاف، مؤكدة الرسالة الحضارية للإنسان، في سبيل إعمار الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى. وفي هذا الإطار يرسم القرآن الكريم خطة العمل الاستراتيجية للإنسان وذلك بالتأكيد على قيمة العمل الصالح وعلاقته الجدلية بالاستخلاف والتمكين الحضاري.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. فلا حضارة بدون عمل صالح بالمنظور القرآني. ويبلغ من تأكيد القرآن الكريم على قيمة العمل والجهد البشري لإعمار العالم بتوجيه من الحق سبحانه وتعالى، أن ترد اللفظة بتصريفاته المختلفة فيما يزيد على الثلاثمئة والخمسين موضعا (٣٥٠)، تشير كلها – سلباً وإيجاباً- إلى أن المحور الرئيس لوجود الإنسان – فردا وجماعة- على الأرض هو العمل الذي يتخذ مقياسا عادلا لتحديد المصير في الدنيا والآخرة، وهو موقف ينسجم تماما مع فكرتي (الاستخلاف) و (الاستعمار) الأرضي[1].

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص ١٤٣.

وفي سبيل ذلك جعل من أهم خصوصيات الأمة الحاضنة للحضارة الإسلامية الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عِمۡرَان: ١٠٤ - ١٠٥].

وقال عز وجل: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عِمۡرَان: ١١٠]. وحض القرآن الكريم على أهمية الأخلاق في بناء الحضارة والعمران. فقال تعالى لنبيه الكريم: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأَعۡرَاف: ١٩٩].

وحض على التعاون والخير بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المَائـِدَة: ٢]. وتتجاوز دعوة الإسلام إلى التخلق بالأخلاق الفضلى دائرة المؤمنين، لتشمل غير المؤمنين. فقال عز وجل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النَّحۡل: ١٢٥]

ولبناء حضارة إيمانية بعيدة عن العبثية واللاجدوى،

دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التزود بالتقوى، ونهاه عن الفساد بكل ألوانه. فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأَعۡرَاف: ٥٦]. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأَعۡرَاف: ٥٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأَعۡرَاف : ١٤٢] . بل دعا القرآن الكريم إلى الابتعاد عن سبيل المفسدين. فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥١ - ١٥٢].

وبجانب الدعوة إلى الإيمان والتوحيد والتقوى والتخلق بالأخلاق الفاضلة والتوكل على الله وغير ذلك من الأسباب الروحية للبناء الحضاري، أكد القرآن

الكريم على ضرورة التسلح بالعلم والعمل، كشرط أساسي للبناء الحضاري. فجعل مفتاح الوحي﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العَلَق: ١].

ونوّه بشأن العلم والعلماء: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزُّمَر: ٩] ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المُجَادلَة: ١١].

ولا يقتصر العلم هنا على المكون الديني والروحي من منظومة العلوم، بل جعل القرآن الكريم الكون بكل مكوناته، كتابا مفتوحا أمام الإنسان ودعاه إلى اكتشاف الحقائق العلمية لبناء الحضارة والعمران،

فأطلق عقول الإنسان من عقالها، وحثها على التفكير والنظر والبحث في الكثير من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يُونُس: ١٠١]. وقوله سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فَاطِر: ٢٧ - ٢٨].

ورغّب القرآن في طلب العلم والزيادة منه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤]. وكما رغّب في العلم، فقد رغّب في العمل والإنتاج بمنطق إيماني ينبني على التوكل على الله. فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العَنكَبُوت: ١٧]. وشرع العمل المنتج في كل المجالات المشكلة لمنظومة الإنتاج الاقتصادي (من الفلاحة والصناعة والتجارة)،ووضع لها الضوابط الشرعية، وبين المنافع والأضرار. فقال تعالى بشأن الحديد وصناعاته: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحَدِيد: ٢٥]. وارتباطاً بالعمل والرزق، أكد القرآن الكريم على تسخير الله سبحانه تعالى لما في السماوات والأرض من الخيرات والثروات لفائدة الإنسان لتمكينه من النهوض بمهمة الاستخلاف. فقال عز وجل:

-﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبْرَاهِيم: ٣٢ - ٣٣].

- ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجَاثِيَة: ١٣].

- ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾ [لُقْمَان: ٢٠]

وربط سبحانه بين التقوى والرزق، مؤكدا خصوصية المنهج الإسلامي في بناء الاقتصاد في ارتباط متين بالإيمان. فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأَعْرَاف: ٩٦].

بهذه المقومات المادية والإيمانية، هيأ القرآن الكريم السبيل أمام الإنسان لبناء الحضارة الإسلامية على ضوء الهدايات القرآنية. فما هي أبرز مظاهر هذه الحضارة انطلاقا من القرآن الكريم؟

٣-٢/ – عناصر البناء الحضاري في الإسلام من خلال القرآن الكريم:

بالإضافة إلى الأسس والمقومات القرآنية المادية والمعنوية لبناء الإنسان المسؤول عن الفعل الحضاري عبر التاريخ؛ فإن القرآن الكريم يشكل مرجعية ومصدراً للتشريع والتنظيم والتدبير لكل عناصر البناء الحضاري السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها. وفي مقدمة عناصر البناء الحضاري في التاريخ الإنساني، إقامة الدولة، باعتبارها الكيان المركزي في المنظومة الحضارية. في هذا الإطار، تستوقفنا الهدايات القرآنية المعبرة عن العناية الإلهية بنظام الحكم الذي يضمن كرامة الإنسان وإقامة العمران، وذلك بإقرار مبدأ العدل الذي يشكل أساس بناء الحضارة وأساس الملك أي الدولة. ولذلك، جعله الحق سبحانه وتعالى محور رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [الحَدِيد: ٢٥].

وجعل سبحانه العدل أمرا ربانيا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النَّحۡل: ٩٠]. وأمر بالحكم بين الناس بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النِّسَاء: ٥٨]. وقد اعتبر العلماء هذه الآية من أمهات الأحكام، تضمنت جميع الدين والشرع[1]. وعدّوها أساس الحكم في الإسلام[2].

ودعا الإسلام إلى اعتماد الشورى في تدبير شؤون الحكم. بقوله تعالى: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشُّورَى: ٣٨]. فبواسطة الشورى، ضمن الإسلام الحقوق الدستورية للأمة بالمشاركة في الحكم، ومنع الاستبداد، ونظم العلاقة بين الحاكم والمحكومين. كما نظم العلاقات القضائية والقانونية، والعلاقات السياسية، والعلقات العامة.

وضمّن حقوق الأفراد والجماعات في كل مجالات الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية على ضوء الهدايات القرآنية. فأقر القرآن الكريم حرية التدين والاعتقاد. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٦]. ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكَهۡف: ٢٩] ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المَائِـدَة : ٤٨] .

فأرسى بذلك الحق سبحانه وتعالى قواعد التعايش والتسامح الديني بين أبناء الإسلام وغيرهم من أهل الملل الأخرى، في الحضارة الإسلامية نظريا وتطبيقيا.

وفي المجال المالي والاقتصادي، جاء القرآن الكريم بضوابط النظام المالي والاقتصادي، فنظم العلاقات المالية بمختلف أبعادها، حيث شملت أوجه الكسب الطيب للأموال، وأوجه إنفاقها، والحض على حفظها، وتنظيم انتقالها بين الناس بالطرق المشروعة، وضمان حقوق الله والعباد فيها، فأسهم بذلك في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص ٢٥٥.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ج٥، ص١٦٨.

إرساء أحد أركان بناء الحضارة الإنسانية واستقرارها وازدهارها. إذ لا حضارة بدون مال واقتصاد مزدهر. قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤ ﴾ [قُرَيْش: ٣ - ٤] ودعا إلى الحفاظ على المال، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ ﴾ [النِّسَاء: ٥]. وشرع التمتع بالمال في الحياة الدنيا وفق الهدايات القرآنية. فقال عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢ ﴾ [الأَعْرَاف: ٣٢]. وقال أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧ ﴾ [المَائـِدَة: ٨٧].

ونظم الإسلام المعاملات المالية لتحقيق مصالح الناس بجلب المنافع لهم ودفع المفاسد عنهم، وإزالة الفساد والغش وغيره من معاملاتهم، فأقر كتابة العقود في المعاملات المالية، وحرم أكل الأموال بين الناس بالباطل، وحرّم الربا، فقال سبحانه: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٥] وحذر بشدة من عدم الامتثال لهذا الحكم، واعتبره إعلان حرب على الله ورسوله. فقال سبحانه:
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩ ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٩].

وفي المجال الاجتماعي، شملت الهدايات القرآنية مختلف جوانب الحياة الاجتماعية للإنسان فردا وأسرة وجماعات وشعوبا وقبائل، وصولاً إلى الجماعة البشرية ككل. واعتباراً لمكانة الأسرة في حفظ النوع البشري وضمان استمراريته وقيام الاجتماع الإنساني، أولاها القرآن الكريم عناية خاصة، فنظم العلاقات الزوجية والأسرية، وضمن حقوق مكونات الأسرة من الآباء والأبناء، ذكوراً وإناثاً. ورغّب في الزواج باعتباره الأصل الطبيعي والشرعي للأسرة الشرعية في

الإسلام ونواة المجتمع، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم: ٢١]. واعتبر عقد الزواج ميثاقا غليظا دليلا على أهميته العظمى في حماية الأسرة والمجتمع من التفكك والانحلال: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النِّسَاء: ٢١]. وشرع الحقوق والواجبات المتبادلة بين مكونات الأسرة، فحفظ حقوق الوالدين وحقوق الأبناء وذوي القربى. وخص الوالدين بمكانة عظيمة في المنظومة الأسرية، فقرن سبحانه وتعالى بين عبادة الله تعالى وبين بر الوالدين، فقال جل شأنه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإِسْرَاء: ٢٣]. ودعا إلى الحفاظ على تماسك الأسرة لما في ذلك من حفظ لتماسك المجتمع. ونظم العلاقات الاجتماعية بصفة عامة.

ودعا إلى تطبيق العدالة الاجتماعية، عبر عدة تشريعات، من أهمها الزكاة باعتبارها من أهم أركان النظام الاجتماعي في الحضارة الإسلامية. ولأهميتها في البناء التعبدي والحضاري للإسلام، قرن القرآن الكريم بينها وبين الصلاة في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ﴾ [البَقَرَة: ١١٠].

واعتبر استخلاص الزكاة واجباً شرعياً. فقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التَّوْبَة: ١٠٣]. ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المَعَارِج : ٢٤ - ٢٥]. وتجاوز القرآن بناء النظام الاجتماعي الداخلي للمجتمع او للدولة او للامة، إلى بناء النظام الاجتماعي العالمي،

حيث دعا إلى التعارف بين أبناء الجماعة البشرية ككل، بغض النظر عن اختلاف الأديان والملل والأجناس، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرَات : ١٣]. وهو بذلك يقر بالاختلاف بين أبناء

الجماعة البشرية، ويدعو إلى اعتباره أمراً طبيعياً في العلاقات والمعاملات الاجتماعية بين الناس، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ [هُود : ١١٨].

هذه بعض معالم الهدايات القرآنية في بناء الحضارة الإسلامية، بنظمها وتشريعاتها الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها. ويبقى القرآن الكريم منظومة حضارية متكاملة، تغذي الإنسانية بما يصلح لها من القيم والمبادئ والنظم والأحكام التي تضمن لها السعادة الحضارية بأبعادها المختلفة. وهو ما يعطي للحضارة الإسلامية خصوصيتها المتميزة عن غيرها من الحضارات. فما هي أبرز خصائص حضارة الإسلام على ضوء الهدايات القرآنية؟

٤-٢/- خصائص الحضارة الإسلامية من خلال القرآن الكريم:

على ضوء الإشارات التي أوردناها بشأن المسألة التاريخية والحضارية في القرآن الكريم، وبشأن أسس ومقومات الحضارة الإسلامية وتجلياتها من خلال القرآن الكريم، يمكن استنتاج بعض خصائص الحضارة الإسلامية. وفي هذا **الإطار يمكن التأكيد على الخصائص التالية:**

- **المصدر الإلهي**: تتميز الحضارة الإسلامية بمصدرها الإلهي، المتمثل في الوحي الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ولما كان القرآن الكريم هو الكتاب المحفوظ بمشيئة الله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجْر: ٩] وهو آخر الكتب السماوية، دليلاً على ختم مسلسل النبوة في التاريخ؛ فإن الحضارة الإسلامية التي تتخذ منه المصدر الأول للبناء الحضاري، تتميز بدورها، في مستواها النظري، من حيث مبادؤها وقيمها وأحكامها وتشريعاتها المختلفة بالثبات والمصداقية واليقينية التي يتميز بها الخطاب القرآني ككل. بينما يعبر مستواها التطبيقي التاريخي عن تجارب المسلمين التاريخية في تجسيد تلك

الحضارة على مسرح التاريخ. ولذلك، فإن التفاوت والتباين في التطبيق التاريخي لتلك النظم والقيم والتشريعات الحضارية القرآنية حسب التجارب التاريخية المختلفة، لا يمكنه أن يشكك أبداً في مصداقيتها وقيمتها الحضارية.

-الشمولية: تتميز حضارة الإسلام من خلال الهدايات القرآنية بالشمولية والتكاملية، انسجاماً مع شمولية القرآن الكريم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّحل: ٨٩]. ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [الأَنْعَام : ٣٨] .

فالخطاب القرآني يغطي كل مستويات ومجالات البناء الحضاري، انطلاقاً من الجذور التاريخية لنشأة الحضارة الإنسانية، بدءا بخلق الكون ونزول آدم عليه السلام إلى الأرض، وبداية مسلسل البشرية الطويل، وبيان الأسس والمقومات المادية والروحية والمعنوية، ومجالات البناء الحضاري التي تشمل كل العمران البشري بمكوناته السياسية والدينية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية...، وصولا إلى مصير الحضارات الإنسانية، ومصير الإنسان بصفة عامة، وتسطير السنن الإلهية في تعاقب الحضارات... وهو بهذه الخاصية الشمولية يلفت نظر الإنسان إلى وجوب الاستمساك بالهدي القرآني والاحتكام إليه في مسيرته الحضارية. قال عز وجل: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المَائِـدَة : ٥٠]

-التكامل والتوازن: تتميز حضارة الإسلام بخاصية التكامل والتوازن بين جملة من الثنائيات التي تصنع الشخصية الحضارية المؤهلة للإنتاج والبناء الحضاري على ضوء الهدايات القرآنية. ومن ذلك التكامل بين الوحي والعقل. فرغم أن البحث مخصص للحديث عن المسألة الحضارية من خلال القرآن الكريم، فإن حضور العقل ضروري في فهم النص القرآني وتفسيره واستثماره في البناء والعطاء الحضاري. بل إن الخطاب الحضاري القرآني يحض على ضرورة استخدام نعمة العقل في تكامل وانسجام مع نعمة الوحي لبناء الحضارة. ذلك

ما تجليه بوضوح آيات التدبر والتفكر في الكون والاعتبار بالتاريخ والقصص والاعتبار بالسنن. ومن ذلك أيضا التوازن والتكامل بين القوى الفاعلة في بناء الحضارة: بين العقيدة والشريعة، وبين الروح والمادة، وبين الربانية والإنسانية، وبين الإيمان والعلم، وبين الفرد والجماعة، وبين العمل لأجل الدنيا والعمل لأجل الآخرة، في سبيل صناعة الإنسان المتوازن والمتكامل، وبناء الحضارة الإنسانية المتوازنة والمتكاملة. قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القَصَص: ٧٧]

-**العالمية والإنسانية:** تكتسي الحضارة الإسلامية طابع العالمية والإنسانية، انسجاما مع عالمية الرسالة الإسلامية التي حملها رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام. مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سَبَإ: ٢٨]. وقوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفُرْقَان: ١]. ويعلن الإسلام الوحدة الإنسانية في كثير من الآيات القرآنية التي تخاطب الناس جميعا بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ...﴾. ومنطلق ذلك التأكيد على الأصل الإنساني المشترك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النِّسَاء: ١] والتكريم الإلهي للإنسان بقطع النظر عن أصله ولونه ومعتقده، حين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإِسْرَاء: ٧٠]. ولذلك، فالخطاب القرآني خطاب عالمي يستوعب جميع الفعاليات الإنسانية. إذ مهما اختلفت الأديان والأعراق وتعددت الدول والمجتمعات والثقافات، فإن الخطاب الحضاري المؤسس على ضوء الهدايات القرآنية كفيل بخلق حضارة إنسانية مشتركة وموحدة الأهداف والمقاصد، بفضل ما يتميز به من قيم الاعتراف بالآخر، والإيمان بالحق في الاختلاف، ووجوب التعايش والتسامح، والتعاون والتعارف بين الناس جميعاً. وقد شهد بهذه الحقيقة المنصفون

من حضارات أخرى(١).

- **حضارة الأخلاق والقيم:** كما أن القرآن الكريم يعتبر دستورا للحياة بصفة عامة، فهو دستور أخلاقي بامتياز(٢).

فقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة للأخلاق الفردية والأسرية والاجتماعية، وأخلاق الدولة، والأخلاق الدينية، والأخلاق الاقتصادية، والأخلاق البيئية، وغيرها.

وبين سبحانه وتعالى أثر الأخلاق في التاريخ والحضارة في سياقات قرآنية مختلفة. ولما كان لابد في التخلق من القدوة، فقد حض القرآن الكريم على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

فقال عز وجل:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأَحۡزَاب: ٢١]. ولخص القرآن الكريم الرسالة المحمدية في آية بديعة بمضمون أخلاقي فريد شامل للعالمين جميعاً، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأَنبِيَاء: ١٠٧].

---

(١) يقول مارسيل بوازار في إحدى شهاداته على إنسانية الإسلام في مجال التسامح الديني: "لابد من الاعتراف بأن الإسلام كان متسامحا على الصعيد الديني، بل على أكثر من ذلك؛ لأنه يحترم معتنقي الرسالات الإلهية السابقة ويحميهم، وأخيرا، وعلى الرغم من الضرورات الاقتصادية والحاجات الإدارية، أظهر الإسلام من وجهة النظر السياسية التاريخية، تقديرا رائعا لأهل الكتاب بقبوله بأن يعيشوا في كنفه. فقد أبقى على مؤسسات إدارية وكنسية وقضائية، لا تتوافق مع الشريعة القرآنية، ولم يفرض على الذميين بعض المحظورات، على الرغم من كونها أوامر إلهية. والتسامح الإسلامي عبارة عن تقدير لغير المسلم وعدل وإرادة إلهية. وطابعه الإلزامي، يضفي عليه بعداً خاصاً، يتيح له أن يبلغ أكرم ما يحمل لفظه من معنى. فهو يستلهم احترام الإنسان الذي يعتقد فكرة مخالفة، فالاحترام يستهدف الإنسان لا رأيه"، إنسانية الإسلام، ترجمة عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠، ص٢١١.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة بيروت، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٣.

وأكد الرسول عليه الصلاة والسلام على مركزية الأخلاق في رسالته، قولاً: إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق، وفعلاً: كان قرآنا يمشي على الأرض. ولذلك، فالحضارة التي انبثقت عن دعوته عليه الصلاة والسلام لا يمكنها أن تخرج عن هذا المقصد الأسمى، وهو مقصد التمكين لمكارم الأخلاق، بين الناس في المجتمع الواحد، وبين العالمين جميعاً، عبر التشريعات والقيم القرآنية الخالدة.

خاتمة البحث:

حاولنا في هذا البحث تقديم لمحة عامة عن المسألة التاريخية والحضارية في القرآن الكريم على مستويين:

-**المستوى الأول:** توخينا تقديم المعالم البارزة للخطاب القرآني في المسألة التاريخية والحضارية، وهو ما حاولنا معالجته في المبحث الأول. وتبين من خلاله أن القرآن الكريم يشكل مصدراً علمياً فريداً للمعرفة التاريخية، على أهم مستويات هذه المعرفة، من حيث اليقينية المطلقة للحقائق التاريخية القرآنية، ومن حيث تنوع المواضيع والقضايا التاريخية والحضارية، أو من حيث الأسلوب والمنهج التاريخي في أهم عناصره (وصفاً وتحليلاً وتعليلاً ونقداً)، وصولاً إلى أهم الأغراض من المعرفة التاريخية، وهو الاعتبار بالتاريخ، واستخلاص القوانين والمبادئ المحركة للتاريخ، أي السنن التاريخية القرآنية.

مما يجعل القرآن الكريم أيضاً مصدراً استثنائياً لفلسفة التاريخ والحضارة التي تكتسي أهمية كبرى في قراءة المسار الكلي للتاريخ والحضارة البشرية واستخلاص تفسيراته الكبرى واستشرافه آفاقه.

– **المستوى الثاني:** استهدفنا من خلاله الانتقال إلى الجانب التطبيقي من خلال استقراء عناصر بناء الحضارة الإسلامية وأسسها ومقوماتها وخصائصها على ضوء الهدايات القرآنية. وتبين من خلال المبحث الثاني للبحث أن الحضارة الإسلامية تنبني على جملة من الأسس والمقومات، في مقدمتها الأساس الإيماني، ثم مسؤولية الإنسان في الفعل التاريخي التي ترتكز على مبدأ التكليف الإلهي للإنسان بالاستخلاف في الأرض.

وتأهيله للاطلاع بهذه المسؤولية الحضارية بكل المقومات الإيمانية والمادية، حيث توقف البحث عند مبدأ التكريم الإلهي للإنسان، ومبدأ التسخير الإلهي للكون لصالح الإنسان، ومبدأ التخليق والتعليم...ولم يكتف القرآن الكريم بذلك، بل بين للإنسان بالدليل والبرهان معالم البناء الحضاري النموذجي في

مختلف مجالات العمران والحضارة: - في الحكم والسياسة والقانون والقضاء والحقوق...؛ -في الاقتصاد والمعاملات المالية والإنتاج...-في الحياة الاجتماعية بمختلف مكوناتها وامتداداتها (الفرد والأسرة والمجتمع والبشرية)- في الحياة الفكرية والعلمية والأخلاقية...مبيناً في نهاية البحث أهم خصائص الحضارة الإسلامية على ضوء الهدايات القرآنية، ومنها: المصدر الإلهي، الشمولية، الكمالية والتوازن، العالمية والإنسانية، ثم الأخلاقية والقيمية. وتبقى هذه مجرد شذرات من الهدايات القرآنية التاريخية والحضارية التي تحتاج إلى مزيد من البحث والبيان.

لائحة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم (مصحف المدينة للنشر المكتبي ال﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٩].

إصدار الثاني).

-أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.

-إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار، ترجمة عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

-آيات الزمن في القرآن الكريم دراسة تحليلية وموضوعية، عبد الغفور محمد طه القيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.

-تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٢.

-تاريخ العرب والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ورجاله في الإسلام، ج١، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.

-التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦.

-تفسير المنار، رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.

-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت

-الحضارة – الثقافة- المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم"، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ١٩٩٤.

-الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١، ١٩٧٨.

-الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

-خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٩، ١٤١٧-١٩٩٧.

-دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة بيروت، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٣.

-سنة الله التي لا تتحول ولا تتبدل، أحمد حسن فرحات، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٩.

-سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم ودراسات وتحليلات قرآنية، محمد عزة دروزة، ،٢ج، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٨؛

-السيرة النبوية في القرآن الكريم دراسة وتصنيف، عبد الصبور مرزوق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى، ١٤٠١ هـ رمضان، العدد ٦.

-فكرة التاريخ عند المسلمين، قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، امصر، ط١، ٢٠٠١.

-فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٦٣.

-في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١١.

-في معركة الحضارة دراسة في ماهية الحضارة وفي الواقع الحضاري، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١.

-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥.

-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

-المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢.

-المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، هاشم يحيى الملاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

-مفهوم الزمن في القرآن الكريم، محمد بن موسى بابا عمي، دار وحي القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨.

-المقدمة ،٢ ج، ابن خلدون، تحقيق إبراهيم شبوح وإحسان عباس، تونس، ٢٠٠٦.